

أخبار الأدب

إشكالية كتابة التاريخ بين العلم والسياسة

6 يوليو 2008

د.عاصم الدسوقي

حصل رءوف عباس على ليسانس التاريخ من كلية الآداب جامعة عين شمس في مايو 1961 وعلى الماجستير (نوفمبر 1966) والدكتوراة (يناير 1971) ثم واصل طريقه في البحث العلمي بمختلف أشكاله من الكتاب والمقال والمحاضرات العامة والندوات المتخصصة والترجمة والتحرير . وطوال فترة تلمذته كان منكباً على القراءة في موضوع التاريخ حسب المقررات الدراسية وفي إطار التوجهات الفكرية لأساتذته كل حسب مشربه ، وابتعد عن النشاط السياسي شأن كثير من أبناء جيله . ولما عين بعد تخرجه في أحد شركات القطاع العام في مطلع 1962 كان الاتحاد الاشتراكي هو التنظيم السياسي القائم ومع ذلك لم يفكر في أن يرشح نفسه في الوحدة الأساسية بالشركة . وسرعان ما ترك الشركة في أواخر 1966 عندما حصل على منحة تفرغ لدراسة الدكتوراة بجامعة عين شمس . وفي أثناء إعداده لأطروحة الدكتوراه تم تعيينه معيداً بجامعة القاهرة في أواخر 1967 وكان الوقت آنذاك زمن منظمة الشباب الاشتراكي ، ولكنه لم يلتحق بالدورات الخاصة بإعداد قيادات الشباب في مختلف قطاعات التعليم والإنتاج والخدمات وعندما بدأت الحياة الحزبية من جديد زمن السادات (1976 - 1977) لم ينضم على أي حزب من الأحزاب التي ظهرت على الساحة ، وكلما شهد الصراعات الحزبية والتصفيات السياسية تمسك أكثر وأكثر بموقفه.

وهكذا نشأ رءوف عباس بعيداً عن السياسية وتفرغ للبحث العلمي وإعداد مدرسة لتغطية تاريخ مصر الاجتماعي وكان قد أعد رسالته للماجستير عن تاريخ الحركة العمالية في مصر والدكتوراه عن الملكيات الزراعية الكبيرة ، ودراسة عن جماعة النهضة القومية في مصر ، وحزب الفلاح الاشتراكي ، وهنري كوريل والحركة الشيوعية المصرية وغير ذلك من دراسات في مجالات التاريخ الاجتماعي - الثقافي حتى لقد ظن البعض أنه لا بد وأن يكون منظماً يسارياً سياسياً . ذلك أن من يكتب في مثل هذه الموضوعات لا بد وأن يكون يساري الانتماء . لكنه لم يكن كذلك فليس كل من يكتب في قضايا التاريخ الاجتماعي -الاقتصادي يكون بالضرورة عضواً في تنظيم سياسي يساري.

ورغم هذه الموضوعية الصارمة في كتابة التاريخ عند رءوف عباس واستقلاله السياسي إلا أن ذلك لم يمنعه من الانضمام مؤخراً إلى حركات سياسية معارضة بحثاً عن عدالة الحكم ونزاهته وهو ما كشف عنه في مذكراته " مشيناها خطى "، وفي ارتباطه بمجموعة 9 مارس من أجل استقلال الجامعة ، ثم حركة " كفاية " من أجل التغيير . الأمر الذي جعل البعض يظن أنه اندمج في المعارضة السياسية لكن بقي التأكيد على أن الموقف السياسي عنده كما بدا في " كفاية " وجماعة "9 مارس" شيء وكتابه للتاريخ شيء آخر فإذا كان في السياسة والحال كذلك ملتزماً إلا أنه في البحث ظل موضوعياً .